بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا ونبينا محمد وآله الطيبين الطاهرين

تُوفي الإمام الحسن العسكري (ع) في سنة ٢٦٠ بعد الهجرة، وبوفاته انتهى دور حضور الأئمة (ع) وبدأ عصر الغيبة التي نحن نعيش فيها والتي أرجو أن تنتهي ونحن أحياء إن شاء الله

هذا الحديث[١] يُرجى أن ينفع الشخص الذي يفتقد الأمن والإيمان ويثق بما في نفسه، يعني يعتمد ما أودعه الله فيها من تطلعات ودوافع ومقاييس، وهنا يجد بشكل طبيعي ما يمنحه الأمن والإيمان[٢]، فالإنسان فطريا مزوّد بطلب الأمن والأمان ويندفع إليه، أما إذا كان الشخص لا يفتقد الإيمان ويهمل التطلّع إلى هذا الإيمان لكنه يستمع من باب حب للاستطلاع والتثقف فهذا الحديث – حتى إذا كان صالحا – لا ينفعه

كانت مدة إمامة الإمام العسكري (ع) ست سنوات – وهي أقل مدة لإمامة الأئمة – في هذه الفترة حدثت أحداث كثيرة، منها ما حصل بين الشيعة من اختلاف في إمامته (ع) (وقد كتب إليه بعض شيعته يُعرّفه اختلاف الشيعة، فكتب (ع) إنما خاطب الله العاقل...)[٣]، في عهد الأئمة (ع) كان يوجد هناك مقياس وميزان وهو الإمام (ع) فكان يتبيّن الاختلاف، بينما الآن كل أحد يدّعي أنه هو على حق فلا يتبيّن الحق ولا ينحل الخلاف

هذه الرواية غير مُسندة ولكن نحن نتعامل معها كمؤشّر إذا راجع الإنسان نفسه سوف يعرفه، فالرواية تكون إرشادية يعني تُرشدنا إلى حقيقة موجودة في نفس كل إنسان[٤]، (..فكتب (ع) إنما خاطب الله العاقل...)، لماذا خاطب الله العاقل؟ لمَ لا يُخاطب جميع الناس؟ الجواب هو أن الله خلق العقل –العقل هو الذي يتعقل به الإنسان– والله تعالى لا يُلغي خلقه فيُشرّع دينا على أساس هذا الخلق، فالشريعة تهدي من ينطلق من خلقة الله عز وجل، لا أن الشريعة تهدي أي شخص حتى إذا كان لا يتعقّل

---

(١) تحدث السيد محمد علي الباقري (قدس سره) بهذا الحديث في يوم الجمعة الموافق ٥ ربيع الأول ١٤٢٦، وقد تطوّع بعض الأشخاص بطباعته مع شيء من التصرف نتيجة تحويل الحديث من مسموع إلى مقروء وقد لا يخلو من أخطاء غير مقصودة

(٢) أشار السيد (قدس سره) إلى هذه المسألة في كتاب (**هكذا آمنت ١**) فصل (**يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ**)

(٣) تحف العقول (٤٨٦)

(٤) في كتاب (**هكذا آمنت ٤**) فصل (**نصوص**) أشار السيد (قدس سره) إلى التعامل مع النصوص للإيمان

(...إنما خاطب الله العاقل والناس فيّ على طبقات -جميع الأئمة (ع) هكذا- **المستبصر على سبيل نجاة) مستبصر يعني يطلب البصيرة، متى الإنسان يطلب البصيرة؟ إذا كان يفتقد البصيرة يعني توجد لديه حاجة، هنا يرغب في البصيرة فهو يفتقدها ويحتاجها، هذا شيء رئيسي وهو أن من لا يطلب البصيرة ويريد أن يُحصّل على معلومات فقط فهذا لا يطلب الدين، والذي يطلب الدين يكون مهتما به وحساسا تجاهه ويخاف عليه فيستمع لحديث ديني ويستهدف به القيام والبصيرة**

إذا شخص يتساءل: كيف أطلب البصيرة؟ الإمام يقول هذا مرتبط بخلقتك أنت لابد أن تنطلق منها، فإذا كنت ملغيا ما أوجده الله في نفسك فلا أحد يستطيع أن يفعل لك شيئا، (المستبصر على سبيل نجاة) هناك سبيل والمؤمن يبحث عن النجاة، في تلك الرواية عن أمير المؤمنين (ع): (الناس ثلاثة فعالم رباني ومتعلم على سبيل نجاة...)[٥]، متعلم يريد النجاة لا أنه يريد أن يتثقف بل يريد أن يعرف سبيلا هو يفتقده ويبحث عنه، يعني توجد مشكلة يعاني منها ويريد أن يبصر درب النجاة كي ينجو، هذا موجود في خلقة كل إنسان، إلا أن الإنسان بطبيعة الحال يستطيع أن يهمل ما في نفسه والله عز وجل مكّنه من ذلك (وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا . فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا)، فيستطيع أن يهمل ذلك ويتعامل بحدود مع الدين ويقول أنا لا أستطيع أن أعرف دعوة الأئمة (ع) ولا أستطيع أن أنصرهم، فهذا مهمل لما أوجده الله في نفسه، في خلقة كل إنسان يوجد تطلع ورغبة في معرفة أمر الأئمة (ع) والقيام به[٦]، وإلا فالإمامة لا معنى لها إذا كان الإنسان جالسا في مكانه ويريد فقط أن يتثقف

(متمسّك بالحق متعلّق بفرع الأصل، غير شاك ولا مرتاب، لا يجد عني ملجأ) توجد طريقة رائجة للتعامل مع إمامة أمير المؤمنين (ع) بطريقة الإثبات، وكذلك إثبات إمامة بقية الأئمة (ع)، ويبذل لهذا جهد كبير لأن يُثبت لك إمامة الإمام بالنص من القرآن أو من الروايات، وهذا التعامل هو الرائج، وهذا الطريق لابد منه ولكن على أن يكون في خدمة الطريق الثاني، ينقل عن أمير المؤمنين (ع): (يا حارث إنك نظرت تحتك ولم تنظر فوقك فحرت، إنك لم تعرف الحق فتعرف من أتاه)[٧]، (اعرف الحق تعرف أهله)[٨]

---

(٥) نهج البلاغة (الحكمة ١٤٧)

(٦) في كتاب (**هكذا آمنت ١**) فصل (**القيام لله**) أشار السيد (قدس سره) إلى فطرة الاندفاع إلى الله

(٧) نهج البلاغة (الحكمة ٢٦٢)

الطريق الثاني هو أن تنطلق من نفسك وتعتمد تطلعاتها والأمور التي أوجدها الله في نفسك فمن خلالها تعرف الإمامة وتعرف الحق، هنا بصورة طبيعية تعرف أنه لابد أن يكون لك إمام لأنك مخلوق مؤتم شئت ذلك أم أبيت

في قرارة نفس الإنسان الذي يريد أن يتقرّب إلى الله عز وجل حسب تطلعاته الفطرية والتي منها مثلا التطلع إلى العدل، التطلع إلى العدل هذا حق[٩]، الحق هو الموجود في نفسي ونفسك، أنا أرغب في العدل فهذا حق، أرغب في الحرية هذا حق، أتطلع إلى إمام هذا حق، ومعناه أن أي إنسان يرغب في أن يكون مع أحد، هذا متأصّل في إنسانية الإنسان وإذا ينحرف يصبح باطلا

في نفس كل واحد منا توجد رغبة في التقرّب إلى الله وكذلك توجد رغبة في العثور على مَن يدلّنا على الحق وعلى كيفية التقرب إلى الله، هذه الدوافع هي التي تجعلني أبحث عن إمام، اعرف هذه الأشياء هنا تبحث عن مؤشرات تدلّك على أن هذه التطلعات تتجسّد وتتحقق في هذا الإمام، وأن هذه التطلعات تتحقق في أمير المؤمنين (ع) في الأئمة (ع) دون غيرهم، هنا تستطيع أن تعرف فإذا عرفت الحق ستعرف من أتاه، أنت بحاجة إلى تلك المؤشرات والنصوص والأدلة ولكن التركيز عليها وحدها لا يكفي لأن التعامل الرائج معها يبنى على أساس خاطئ وهو أنه يُتعامل مع الإنسان على أنه مخلوق خالي لا توجد في نفسه أسس ولا دوافع ولا تطلعات فيُهمل بهذه الطريقة البناء على ما خلقه الله في النفس، وعلى هذا الأساس التركيز عليها وحدها من دون أن يكون في خدمة الطريق الثاني لا ينفع، وإنما تنفع فقط للجدال بالتي هي أحسن وبشرط أن تكون هنالك إمامة، النبي (ص) هو المطالب به (وَجادِلهم بِالّتي هِيَ أَحْسَنُ)[١٠]، أو المسلمون كأمّة (وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ)[١١] وفي ظل إمامة (خَيرَ أُمَّةٍ أُخرِجَت للنَّاس)[١٢]

---

[٨] (تاريخ اليعقوبي: ٢/٢١٠)

[٩] بيّن السيد (قدس سره) حول الحرية في كتاب (**هكذا آمنت ٦ – مذكرات عن المهدي** (ع)) فصلي (**ما هو العدل**) و (**العدل مقياس**)

[١٠] (النحل: ١٢٥)

[١١] (العنكبوت: ٤٦)

[١٢] (آل عمران: ١١٠)

فهنا عندنا ثلاثة أشياء: مؤشرات، نصوص، شخص يبحث عن إمام بفطرته، فإذا كان الشخص ليس بحاجة للبحث عن إمام فتلك المؤشرات والنصوص تتحول إلى سلاح ضد الآخرين[١٣]، أما إذا كان الشخص بحاجة إلى إمام ويحتاج أن يعرف الحق الموجود في نفسه ولم يكن مكتفيا بالقيام بأعمال وعبادات معينة، هنا هذا الشخص بشكل طبيعي ينطلق من نفسه ويبحث عن مؤشر إلى ما هو موجود فيها، فالله عز وجل شرّع الدين وفق فطرة الإنسان (فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ)[١٤]

نفترض أن شخصا صدفة وقع في جزيرة وشعر بعطش فهو يندفع ويبحث عن شراب لأنه يوجد في قرارة نفسه إحساس بأنه يوجد شراب، كذلك الله عز وجل خلق وشرّع أصل الإمامة وأوجد في الإنسان الدافع الذي يدفعه لها ليلبّي تلك الحاجة ويقضيها[١٥]، ولكن تارة شخص فقط يركز على هذه المؤشرات والنصوص ويقف عندها وتارة أخرى شخص يهتم بهذه المؤشرات والنصوص للوصول إلى تلك الحقائق التي تعرفها نفسه، فمثلا من الحقائق الموجودة في النفس أن الله لا يأمر بالجور ولا الظلم (إِنَّ اللهَ يَأمُرُ بِالعَدل)[١٦]، هذه الحقيقة كل إنسان يعرفها، ومن كان يتعامل بهذه الطريقة لابد وأن يجد الإمام، بينما الشخص الأول الذي فقط يركّز على النصوص ويريد أن يفهم هل الإمام موجود أم غير موجود!؟ في الواقع هذا الشخص لا يرتبط بالإمام ولا يسعى لمعرفة دعوته وإنما يتعصّب له فقط، أما الشخص الآخر الذي يعتمد تطلعات نفسه فهو لا يستطيع أن يتصور عدم وجود إمام[١٧]، لأن هذه حقيقة موجودة في نفسه وهو معتمدها ويبني عليها ويتعامل على أساسها ويتحرك وفقها، فهو يتساءل بينه وبين نفسه هل يوجد إمام يحقق هذه التطلعات؟ فبشكل طبيعي سيجد الإمام الحسن العسكري (ع) الذي تطلبه نفسه وتعرفه، هذا الطريق فيه ضوء والضوء هو يطلبه، في هذه الصورة هو يعرفه ويتمسّك به

أكتفي بهذا المقدار وأرجو أن يجعل الله فيه مؤشرا يكفي للأعزة الذين عندهم متابعة واهتمام فأرجو أن هذا الحديث ينفعهم، والحمد لله رب العالمين

---

[١٣] بيّن السيد (قدس سره) هذه المسألة في كتاب (**هكذا آمنت (٦) – مذكرات عن المهدي (ع)**) فصل (**الاهتداء والاحتجاج**)

[١٤] (الروم: ٣٠)

[١٥] بيّن السيد (قدس سره) هذه المسألة في كتاب (**هكذا آمنت (٦) – مذكرات عن المهدي (ع)**) فصل (**الائتمام فطري**)

[١٦] (النحل: ٩٠)

[١٧] أشار السيد (قدس سره) إلى هذا التطلع في الإنسان في كتاب (**هكذا آمنت ١**) فصل (**لابد من إمام**)